السلسلة الزروقية (٤)



مناقب الحضرمي

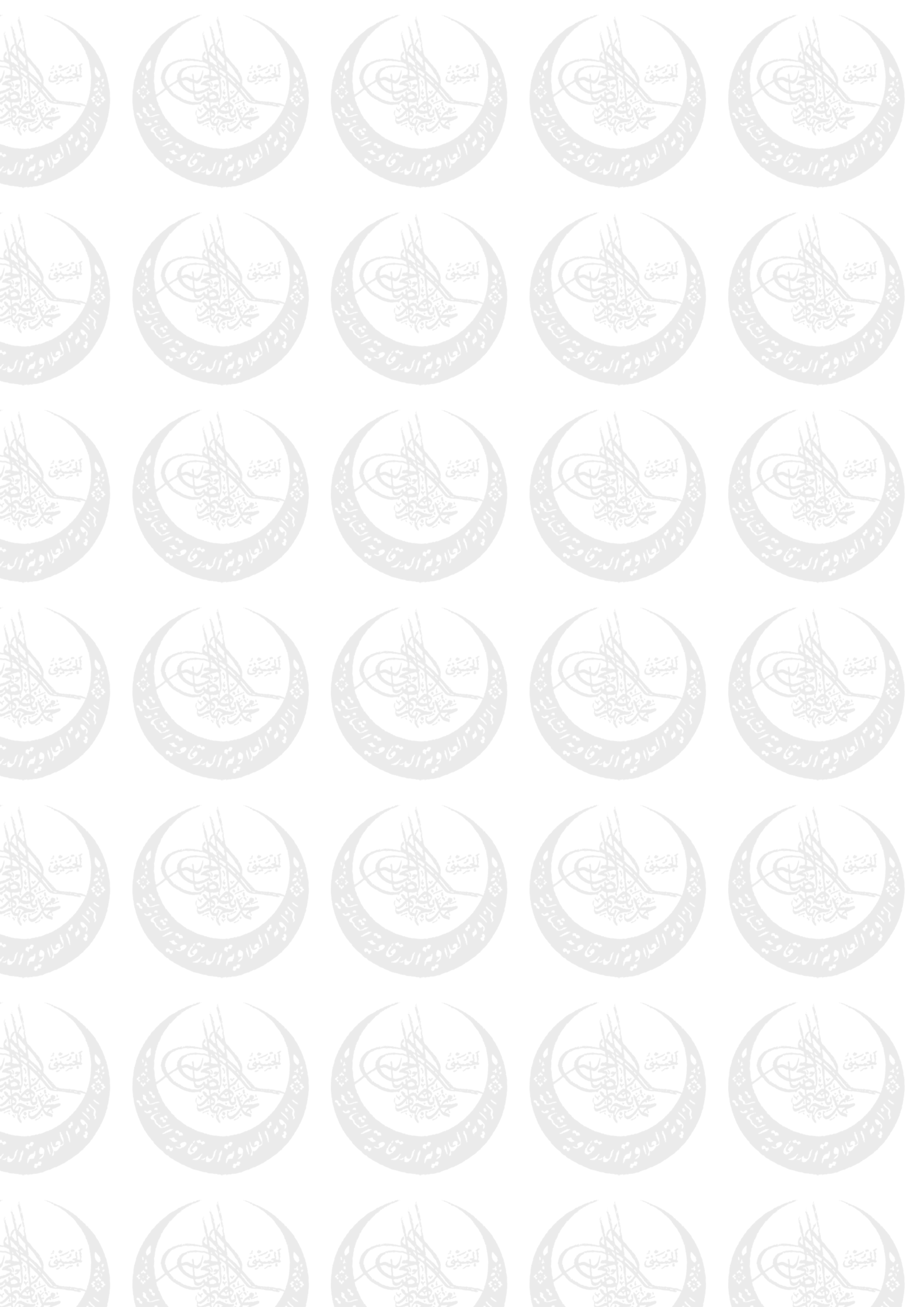
أبي العباس أحمد بن عقبة

المتوفى سنة ٨٩٥ هـ

تأليف العارف بالله

الإمام أحمد بن زروق الفاسي

المتوفى سنة ٨٩٩ هـ



بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم

النص المحقق

الحمدُ لله الذي فتح بصائر العارفين لمشاهدة جلاله، وقدَّس أسرارهم بالاستراحة إلى كريم جماله، ووصل أرواحهم بشهود عظمته في كماله، وصلواته التَّامَّات المُباركات على سيدنا مُحمَّد وعلى آله وعلى كل من له نصبة في علومه الكريمة وأعماله، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين والحمد لله ربِّ العالمين آمين.

أما بعد

فالمقصود بهذا المسطور المبارك إن شاء الله تعالى ذكر شيء من مناقب سيِّدنا وسندنا وأستاذنا ووسيلتنا إلى الحق في وقتنا، الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد ابن عبد القادر بن مُحمَّد بن عمر بن أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني ﷺ وأرضاه وجعل الجنة منزله ومأواه.

أفردناه بالذِّكر لكونه أوحد من لقينا في المراتب العرفانية، وأمكن من شاهدناه في المقامات الإحسانية، وأحسن من رأيناه في الأخلاق الزكية، وأوفى من عرفناه في العلوم الوهبية، غير أنه عامِّي العبارة غامض الإشارة استأذنته في التعبير عن كلامه بعباراتي فأذن لي فيه وقال

" افعل فإن عباراتي ليست بعبارات فقهية ".

وحدَّثني بأن مولده بحضرموت بأحد الجمادين من سنة أربعة وعشرين وثمانمائة " 824 هـ " وأُخبرت أن الولاية في سلفه مشهورة إلى زائد عن المائتي سنة، وأنه كان فيهم أقطاب وغيرهم، ويُحدِّثُ عن والده ووالدته وعمِّه وقرابته بالعجائب في المعرفة وأن أهل بلاده يتفاخرون بالمعارف كما يفتخر أهل الدنيا بالأمور.

وحدَّثني أنهُ حجَّ في سنة ست وأربعين وبقي في السياحة نحو عشرين سنة, وكان لقائي به بمصر في سنة ست وسبعين، وبقيت معه ثمانية أشهر، ثم في سنة خمس وثمانين، وصحبته أيضا مثلها، فما رأيت منه إلَّا الكمال الكامل، وكلامه يدل على حاله.

قال لي رضي الله عنه

" اضبط ما سمعته مني لتنفع به أو تنتفع ففعلت فيما استطعت، وبالله التوفيق " انتهى.

وسمعته رضي الله عنه يقول

" مَن أعطي الحال والمقال فهو مغبوط، ومَن حُرم الحال والمقال فهو مسخوط، ومن أعطي الحال دون المقال فهو محفوظ، ومن أعطي المقال فهو مُصاب، والمصاب خير من المسخوط لأن عنده شيئا أصيب فيه "

ونسب هذا الكلام لبعض العارفات ببلاده والله أعلم.

وقال رضي الله عنه لبعض الإخوان عند وداعه

" اجمع الأشياء الخبيثة كما تجمع الأشياء الطيبة فإن لله سراً في كل شيء ".

قلت, يجمعها من حيث الاعتبار والعلم لأن مَن لا يعرف الشَّر يقع فيه لا سيما مع فساد الزمان، وفي النظر في الأمور عموماً ما يهدي للمعرفة باتساع العلم والقدرة فتأمل ذلك.

وقال رضي الله عنه

" ليس الرجل الذي يعرف كيفية تفريق الدُّنيا فيفرِّقها، إنما الرجل الذي يعرف كيفية إمساكها فيُمسكها ".

قلت, وذاك لأنها حيَّة، وليس الشأن في قتل الحيَّة إنما الشأن في إمساكها حيَّة.

قال ﷺ

" ليس الرَّجُل الذي لا يَدخل الظُّلمة أصلاً، ولا الذي يدخُل الظُّلمة بالظُّلمة، إنما الرَّجُل الذي يدخُل الظُّلمة بالنُّور ".

قلت, أراد بالظُّلمة الدُّنيا والأسباب والعوائد ونحو ذلك, وقد قال رسول الله ﷺ

" المؤمن الذي يُخالط النَّاس ويصبرُ على أذاهم خيرٌ مِن المؤمن الذي لا يُخالطهم ولا يصبر على آذاهم، وفي الكل خير "[1] فافهم.

وقال ﷺ

" إذا توجَّهنا للخواص القرآنية والأسمائية شغلتنا عن القصد المقصود فلذلك تتشوف لما يكون مصحوبة بالغفلة من الخواص وغيرها في ضروري المقاصد فاعرف ذلك ".

وقال ﷺ

" إنَّ مكَّة تدَقُّ كلَّ شيءٍ يدخُلها، فلا يوجد له من القوة ما يوجد في غيرها أكان طيباً أو غيره، قال وإنها تفعل بأحوال الرجال كذاك فلا يثبت فيها إلَّا كاملُ الصِّدق".

وقال ﷺ يحكي عن بعض أهل المعرفة من أهل بلاد اليمن

" طريق المغاربة طريق الموت، فلا يتنعَّم أحدهم بالحقِّ إلَّا من حيث استشعار الاستهلاك فيها, وطريقُ المشارقة طريقُ الجُهد فلا يصلُ أحدهمُ إلَّا عندَّ آخر أمره فلا يتلذَّذ بشيءٍ من وجود شيء من معرفته, وطريقُ أهل اليمن طريقُ الرَّحمة فهم يتنعَّمون بالحقِّ مِن أولِ قدم ".

قلت, وقد أشار عليه السلام لذلك بقوله

" نُصرت بالصَّبا وأهْلكت عاد بالدَّبور "[2]

---

1. أخرجه الترمذي

2. أخرجه البخاري

" والإيمان والحكمة يَمانيَّة وإني أجد نفس الرَّحمن من ناحية اليَمن "[1]
يعني نفس الرَّحمة إلى غير ذلك.

***

[1] . أخرجه البخاري





في فضل الصَّالحين وشفاعتهِم

قال ﷺ

" رأى بعض الصَّالحين النَّبي ﷺ في المنام فقال
" يا رسول الله ما أدركناك حتى نسألك على أفضل الأعمال؟
فقال عليه الصَّلاة والسَّلام
" أفضلُ الأعمال وقوفك بين يدَي ولي من أولياء الله تعالى قَدرَ حَلبُ شاةٍ أو ساعة "
قال يا رسول الله حياً كان أو ميتاً ؟
قال " حياً كان أو ميتاً وذلك لأنهم أبوابُ الحقِّ ومحل تنزُّل الرَّحمة ".

وسمعتُ شيخنا أبا عبد الله القوري ﷺ يقول

" إذا كانت الرَّحمة تَتنزَّل عند ذكر الصَّالحين فكيف بحضرتهم أو محل اجتماعهم على مولاهم يعني مقابرهم " ؟ انتهى معناه.

وقال ﷺ لبعض إخواننا

" أتريد الأخذ من الله بلا واسطةِ أو بواسطةِ ولي مِن أوليائه " ؟

قال بل على يد وليٍ مِن أوليائه.

قال ولِم ؟

قال لا أدري

قال ﷺ

" لأنه يعرفُ الذي يأخذ لكَ بهِمَّتهِ لا بهِمَّتك ".

قلت, ولِما في ذلك من التحقُّق بغاية الذُّل الذي هو مفتاح كل خير وسرُّ الشفاعة، ولِما وَرَد من دُعاء المؤمن لأخيه بظاهر الغيب, ولِما وَرَد

" أدعُني بلسانٍ لَم تعصني به قطُّ " انتهى ما أشرنا إليه.

وقال ﷺ

" ما وصلَ مِن الإمداد على يد المشايخ الأموات أقوى من الأحياء لأنهم في بساط الحق دون واسطة ".

قلت, وذلك لأن بهم الأخذ منه في الجميع، وللهياكل استئناس بالصُّوَر وذلك مفقود من المُتوفِّي فافهم, ثم هذا مبني على عدم انقطاع بركة الولي بموته، وهو شيء شهد له العيان والبيان.

فقد نقل الدميري في " حياة الحيوان " عن الشافعي ﷺ أنه كان يقول

" قبر موسى الكاظم الترياق المجرب "

وسمعتُ شيخنا أبا عبد الله القوري ﷺ يقول

" لم تظهر كرامات ولي بعد موته أكثر منها في حياته إلَّا أبو يَعزى ﷺ ولن تبلُغ مَبلغ التواتر سواها وما للشَّيخ سيِّدي عبد القادر نفعنا الله بها بمنِّه".

***

ارتفاع التَّربية بالإصطلاح

وقال ﷺ

" ارتفعت التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة ولم يبق إلَّا الإفادة بالهمَّة والحال، فعليكم بالكتابِ والسُّنة مِن غير زيادة ولا نقصان ".

وبعد كلامه هذا تتبَّعت الطُّرق الاصطلاحية التي أعرفها فلم نجد لأحد من أهلها فتحاً، ثمَّ عِلمُهُ بارتفاعها كعِلم الفُقهاء بارتفاع الاجتهاد من حيث انقطاع المواد، وذلك لأن الاصطلاح لا يفيد إلَّا مثلهُ، فلمَّا اشتدَّت ظُلمةُ الجَهل لم يُفد فيها الاصطلاح، إذ لا يقطع قوة الباطل عند اشتدادهِ إلَّا الحقُّ الواضح كما كان الحال في أوَّل الأمر، وحُكمهُ بالعموم كحُكم الفقيه به في دفع الاجتهاد في زيادة إفادة الكشف الذي تَقوى به الحُجَّة والله أعلم.

وقال ﷺ

" لو تَمشَّيتم مِن أقصى بلاد المشرق إلى مُنتهى بلاد المغرب في طلب مريد مستقيم الظاهر والباطن ما وجدتموه ظاهراً، فكيف بالعارف الكامل " ؟

ثم قال ﷺ

" ما بقي في هذا الوقت من حقيقة غير مخبَّطة لا في باب العلم ولا في باب العمل، إلَّا القليل وهو غير ظاهر للعيان ".

قلت, لكن مِن النَّاس مَنْ يتخبَّط في دائرة الحق فينتقل من نور إلى نور فلا يضرُّه ذلك، ومِن النَّاس من يتخبَّط في دائرةِ الهوى وهو المذموم.

قال في الحكم[1]

" لا يخاف عليك أن تلتبس الطُّرُق عليك، وإنما يخافُ عليك مِن غلبة الهوى عليك ".

---

[1] . الحكم العطائية لابن عطاء الله

وقال ﷺ

" المريد تُقلَّب أحوالهُ عليه فيبدو أنوارها على ظاهره، والعارف حاكمٌ على أحواله فلا يظهر منه إلَّا وجود البشرية، فلذلك تميل النفوس للمريدين أكْثر من العارفين، ويظهرُ التحقُّق عليهم أكْثر مِن أهل الكمال والله أعلم ".

وقال ﷺ

" إن العبودية لا تقدر على مقاومة الربوبية ولا في ذرَّةٍ مِن الذرَّات ولو أقامت في ذلك إلى ما لا نهاية له من السنين, فلمَّا علم الله سبحانه عجز خلقه عن القيام بحقوق ربوبيته خاطبهم من بساط الشهوات, كل واحمدِ الله، واشرب واحمِد الله، وارقُد واحمدِ الله، واتَّقِ الشَّر أن يصِل إلى النَّاس مِنك، واتَّقِ الشَّر أن يصِل إليك مِن النَّاس ".

قلت, أشار بهذا إلى أنَّ مقصود الحقّ مِن عباده وجود العبودية بما هم فيه للخروج عنه، فإن عبودية كل أحدٍ على حسبِ حاله، وقد قال بعض المشايخ

" رُبَّ صيامٍ و قيامٍ عادة، ورُبَّ نومٍ وأكلٍ عبادة " فافهم.

وقال ﷺ

" مِن الناس قِسمٌ إذا عمَل الخلوة لا يحصل له شيء، وإذا ترك نفسه مع ما هو به فُتح له مع ذلك "

قلت, من قوة الباطن

قال **" نعم "**

قلت, وذلك لأن نفس العارف تأخذ من كل شيء بحسبه فلها في كل شيء فائدة، فإذا توقفت على شيء واحد تقيَّدت والله أعلم.

***

قال ﷺ

" أني لأعجَبُ مِمَّن يقول مُريدي وتلميذي ولا يستحي مِن الله تعالى، ثم قال ونظر إلى عبيدٍ له والله إنَّ هؤلاء معي في الرِّق ولا أعاملهم إلَّا بالأخوَّةِ فكيف بغيرهم " ؟

قلت, وقد كان لي أصحاب فتحيَّرتُ في معاملتهم فرأيت في النَّوم يقال لي

" حقَّكَ أن تُطالب نفسك بالإخوَّة لهم، وحقُّهم أن يُطالبوا أنفسهُم لكَ بالمشيخة "

فتأمَّلتُ ذلك فإذا هو صحيح، لأن حقَّ الإخوة يقضي بالتَّواضع وخفضِ الجناح والرَّحمة والعطف، وحق المشيخة يقضي لهم بالاحترام وحِفظ الحقوق، ومتى تعدَّى أحدٌ مِن الفريقين بابهُ لَم يقُم بحقِ صاحبه، لأنَّ المطالبة بحقوق المشيخة مِن الأعلى تُعيقُ مصاحبة الأدنى و اعتقاد الأخوَّة من الأدنى، تقضي بالمطالبة ورؤية الحق في المكافآت فتُسقط الحُرمة ولا تقع إلَّا مع احترام, وقد كان بعض المشايخ يقول

" بالحرمة ارتفعوا، وبالخدمة انتفعوا، يعني القوم وبالله التوفيق.

وقال ﷺ

" إذا جاءك رجُلان يسألانِك الدُّعاء، وأحدُهما أخ والآخر أجنبي، أندعو لهما على السَّواءِ أم كيف تفعل " ؟

فقلت, مُقتضى النَّصيحة التَّسوية

قال

" لا, ولكن أنزِل الناس منازلهم، فليس من يأتيك سائلها بكُلِّيته كمن يقول لكَ أدعُ لي بلسانه، أجِب كُل واحدٍ على قَدرهِ, مَن قال لكَ أدعُ لي بلسانه مُجردة قُل لهُ بلسانِك مُجردة، ومَن أتى بقلبهِ فقابلهُ بكُلِّك أو كما قال ".

قلت, وهذا مقتضى الشريعة والحقيقة، والحكمة الأدبية أن تعطي كل أحد من نفسك على قدر ما يعطيك من نفسه إلَّا في الأمور العامَّة مِن

حِفظ النَّفس والمال والعِرض والحُرمة، فالمُسلم أخو المُسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا يحقُرهُ لذِمة الإسلام، والله أعلم.

وقال ﷺ

" لبعض الناس علينا إحسان فيطلبوننا في الدعاء ويريدون أن نبذل لهم القدرة ونحن لا نقدر على ذلك، ولنا عندهم رزقٌ أوصلهُ الله إلينا كيف شاء على ما أحبُّوا أو كرِهوا ".

قلت, أشار بهذا لِما يأتي به مِن الابرارات قصداً لإستهداء الدُّعاء الصَّالح وتحقيقاً للمودَّة في قلوب أمثاله وهو إنْ فُهم منهُ ما ذُكر بأوَّل وهلة لم يضر, وإن فُهم منهُ تعليقهُ على قضاء الحاجة وتيسير المطلب حتماً لم يَجُز، لأنه أخذُ مالٍ بغير سبب مُعتبر شرعاً ولا عادة، فصار مِن أكل المال بالباطل, وإن كان لقصد شفاعة ولو بعدها فمن باب ثمن الجاه.

وقلت, قال عليه الصَّلاة والسَّلام

" مَن شفعَ لأخيه شَفاعة فأهدى لهُ مِن أجلها هديَّة فقد فتح على نفسهِ باباً عظيماً مِن الرِّبا "[1]

وظاهر ما وقع للشَّيخ أنه مِن القبيل الأول إلَّا أنه لا يعرض لأصحابه ذلك بعد القصد الأول ولا يفهمهُ عنهم أو يكون له وجه في أخذ ما يصِل على أيديهم ممَّا هو واجب عليهم والله أعلم.

***

[1] . رواه ابن أبي أُمامة في سنن أبي داود للمنذري

وقال ﷺ

" إذا جرى معك أحد بشيء مِن الدنيا فرُدَّ عليه مراراً واحذر فساد نيَّتهُ بسبب قبولك وتصرُّفك في ماله فإنَّ الدُّنيا عزيزة على النفوس، فإن أبى فخذ منه وتصرف على حسب ما تراهُ وترَّفق أولاً لعلَّهُ تثبَّت وتَثبت في نفسك، ثم إن بدا لك منه شيء فلا تعتِب عليه واعذُرهُ في حاله و وادعهُ على إحسانه وارحمه بالإقبال والمساعدة على ما هو به ".

قلت, وقد كان بعض المشايخ مِن المُتقدِّمين إذا جاءه أحدٌ بشيءٍ قال أمسكهُ عندك وانظر هل أنقُصُ عندك بعد أخذه أو لا، فإن أخبرهُ أنه ينقُص ردَّهُ عليه لمشاهدة حاله بعظمةِ الدُّنيا في قلبه وتعليقه على شرّها في نفسه، فهذا شيء لا يكون مِن كل الناس ولا مع كُلِّهم، ولكن ينظر الإنسان في الناس بذلك، فمن الناس من يأخذ منه ولا يُعطيه، ومنهم من يُعطيه ولا يأخذ منه، والكل كان في حقهم ورحمة بهم والله أعلم.

وقال ﷺ

" قليلُ العمل مع التذلُّل خيرٌ مِن كَثرةِ العمل مع التَّعزُّز ".

قلت, وهذا موافق لقول ابن عطاء

" معصية تورث ذُلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعةٍ تورثُ عزاً واستكباراً "

وقال ﷺ

" لو أذِن الله لولي من أوليائه لعطَّر الآفاق ".

قلت, يعني بالعلوم والمعارف والحقائق والفوائد والزوائد وغيرها.

وقال ﷺ

" أحذر مكر الله في كل شيء، فإن في قدرة الله تعالى ما لاشعور لأحد به، ومن لم يخف المكر عن قريب يجد الخلل ويقع في المعاصي والزلل ".

قلت, ودليله في ذلك قوله تعالى

" فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[1]

وفي الخبر أن الله تعالى قال لجبريل وميكائيل عليهما السَّلام

" لا تأمَنا مَكري وإن أمَّنتكما "

ونقول هذا الباب كثيرة.

وقال ﷺ

" كيف تتكبَّر على من لا تقطع بأنك عند الله خيرٌ منه " ؟

وقال ﷺ

" خرج بعض المشايخ لزيارة بعض الناس بمكة فقال له بعض الناس فيه شيئاً فقال للقائل لا جزاك الله خيراً كان معي رأسُ مالٍ حُسنُ نيَّتي فيه فأفسدته علي ".

وقال ﷺ

" إنا لنطالب الناس على قدر دعواهم ونأخذ ما نرى من سماحهم ".

وقال ﷺ

" الفقيهُ في هذا الزمان " ألف قيئه " أي تقَيَّأه ألفَ مرَّة، يعني أطرحه عن قلبك".

قلت, لِما رأى من أحوال غالب تلك البلاد، وإلَّا فلا يَذُمُّ الفُقهاء إلَّا جاهل أو زنديق لأنهم حملةُ الشَّريعة وحُماة الدِّين.

وقال ﷺ وقد ذُكر عنده رجل بالفِهم والعِلم والذَّكاء وحُسن النيَّة في القوم إلَّا أنه يخالط الظَلمة وينتمي إليهم فقال

"كل ما عنده من الخير كياقوتة في سنداس ".

وقال ﷺ وقد ذَكرتُ له إنكار الناس على ابن العربي الحاتمي فقال

---

[1] . الأعراف 99

" والله إنه لمستحق الإنكار لكن ممَّن هو فوقه لا ممَّن هو في السناديس ".

وقال ﷺ

" إذا علمت صدق صاحبي في سلب اختياره معي رجعتُ به لاختياره لئلا أُعنِتَه، ولعلَّ نفسهُ مُتعلِّقةٌ بشيء من ذلك فلا توافقهُ على المساعدة فيخالف ويتضرَّر أو يساعد وهو مضرور في نفسه ".

وقال ﷺ

" لو أجد المُريد الصَّادق أوصلته في أقرب مدة بلا مشقة ".

ورأيته قد ابتلى بعض إخواننا بمجاهدة شاقة فكلمته في ذلك فقال

" ما غير تختبر أرضه " ؟

يعني قلبه.

وقال ﷺ لي ولصاحبي

" اخرجوا من هذه البلاد يعني مصر، فإنها تذهب بنور الايمان وارجعوا إلى بلادكم فإنها تربة طيبة، والطينة إذا عادت إلى أصلها طابت ".

وقال ﷺ

" يتعين على من دخل هذه البلاد أن يجدِّد إيمانه إذا خرج منها ".

يعني لِما يُشاهد مِن المُنكر وما يقع فيه مِن النَّقص، وإنه لصحيح لمَن نظرهُ بعين الإنصاف.

وقال ﷺ " لِم وجبَ الوضوء مِن مَسِّ الذَّكر " ؟

فذكرنا أجوبة فقهية فقال

" لكن أقول لامتيازه عن الأعضاء بأمر هو أنه الذي ملأ العالم عمارة وبه يتفاخرون ومنه يتناسلون وعليه يقتتلون ".

قلت, وهذا وإن لم يكن علَّة من أحسن الوجوه.

وقال ﷺ وقد اشتكى بعض الإخوان مِمَّا أَخوَفهُ مِن شِدَّة الطَّريق ومقاساته ومِحَنه

" مِن الناس مَن يصلُح للدَّق فَيُدق، ومِن النَّاس مَن يحتاج إلى الرَّحمة فيرحموه ".

وكان يقول له

" لو صَحِبت بعض إخواننا مِن العارفين لتعِبت، ولكن الله نظر إليك ورَحمك ".

وكنتُ أذكر بعض وقائعي وامتحاناتي لبعض المشايخ فيقول

" ما عندنا إلَّا الاتِّساع والرَّحمة ".

وقال ﷺ وقد ذكر له رجلٌ مِن أصحابه إنّي قلتُ لهُ " ما أنت إلَّا لفلان, شيخ كان يُكثر ذِكره

" إنْ كُنتَّ لفُلان بالقالَب فأنتَّ لنا بالقلب ".

وقال ﷺ

" إني لأحب المذاكرة في العلم سواء كان ذلك من عقل أو نور ".

وقال ﷺ

"كُلُّ عِلمٍ لا تكونُ لهُ حقيقةٌ في الباطن فلا عِبرةَ به، وكُلُّ حقيقةٍ لا يَظهرُ لها أثرٌ في الخارِج فلا فائدة فيه، والكلامُ مُتَّسِع المَجال وإنما المُعتبَر التَّحقيق ".

* * *

عَدَم انتساب العارف الحَضرمي لطريقةٍ مِن الطُّرُق

وقال ﷺ لَمَّا سألتهُ لِمَن تنتمي طريقةً فقال
" نحن لا نعرف شيئا من هذا، ولكن تتَّصل والدتي بالشَّيخ أبي مدين ".
قال **" وقد سمَّاني النَّبي ﷺ رفاعياً إذ رآهُ رجلٌ في المنام عليه السَّلام فقال لهُ قُل لفلان الرفاعي ".**
قلت, وذلك لأحد أمرين, إمَّا موافقتهُ طريقةُ الرِّفاعية، أو لأنهُ رفيعُ القدر في حالهِ، والله تعالى أعلم.

وقال ﷺ لبعض إخواننا وقد رآهُ في النَّوم
" عليك بزيارة الصَّالحين والأولياء والعارفين واللَّفيفين مثلي ".
قُلت, اللَّفيف الجَّامعُ، ومنهُ قوله تعالى
﴿ جِئنا بِكُمْ لَفيفاً ﴾[1] أي جميعا.

وقال ﷺ وقد أخبرهُ بعضُ الإخوان برؤيا رآها تقتضي رِفعتهُ إلى أعلى مقام فقال
" والله يا وَلدي مالي مقام غير الإساءة والتَّقصير، ولكن أرتجي عفو الله سبحانه".
قلت, وهذا مِن كمالِ أدبه ﷺ مع الله سبحانه وتعالى.

وقال ﷺ
" هل ترَون الأخذ من بيت المال " ؟
قلت، لِما يَلحق في مخالطة أهلهِ مِن الضَّرر
قال **" ولا عند الضرورة " ؟**
فَتوقَّفتُ وأخبرتهُ عَن أئمةِ بلادنا أنهم يستعفون عنه

[1] . الأسراء 104

فقال

" وكذلك أهلُ بلادنا، ولكن الضرورة تُبيح المحظورات يشير بحاله، إذ كان يأخذ ما يصِلُ إليهِ منهُم اعتباراً باستحقاقه، وما فيه للعُلماء مَعلوم ".

وقال ﷺ

" كان الشَّيخ عبد الكبير اليمني الحضرمي بمكة المُشرَّفة وهو موسوم بالقُطبانية لا يُعطي أحداً شيئاً في الظَّاهر ويُظهر الإمساك مع اتِّساع دُنياهُ وتَعرُّض المُحتاجين لهُ ليُعلِّم أصحابهُ كيفية إمساك الدُّنيا ويُربِّيهم على تركِ المَطامع وليَنفي عنهُ التَّسبُّب في الشُّهرة وكذلكَ كانت طريقةُ سيِّدي الشَّيخ علي الأجهوري ".

قلت, وهذه مسألة مشى فيها الشَّيخ أبو محمد عبد العزيز المَهدوي.

ومن كلامه له في كتابه " صدور المراتب ونيل المراغب " بعد كلام ذَكرهُ

" والفهم في ذلك بحسب وارادات القلب، وبحسب النور الموضوع في باطن القلب ونور سويداء القلب، ونور السر وهو أعظم الأنوار وأجلها وأكملها، ولكل نور من هذه الأنوار تفصيل وتأويل وتنزيل وتحويل وتنقيل، ولكل مقام منها شرح ما تسعُهُ الصُّدور فضلاً عن السُطور

﴿ وما يَعلمُ جُنُودَ رَبّكَ إلَّا هُوَ ﴾[1]

فالكلمة الواحدة قد تُفهم وتُعرف معانيها مِن ألف كلمة وألف كلمة، وأكثرُ مِن ذلك, ألف ضعف قد يُفهم مِن كلمة واحدة، فاعرف ما أشرنا إليه.

وقد قيل " ما يَعرف المنزل غير مَن سَكنهُ ".

وقد قال بعض العارفين في أبيات له كثيرة

" ما يعرفُ المَخلول غير مَن يُصلِّي ".

وقول بعض الناس

" ما حلَّ في القلب لابُدَّ على الجسم لاح "

1 . المدثر 31

فافهم ذوق الأشباح الكثيفة تُدرك بها ذوق الأرواح اللطيفة، وكيف نتكلم أو نقول والكُلُّ قاصر عن العبارة و الإدراك ؟ والعجز هو مقام التقصير والاعتراف, قال الله تعالى

﴿ قُلْ لَو كَانَ البَحْرُ مِداداً لِكلماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدُ كَلِمتُ رَبِّي وَلَو جِئنا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[1]

ويكفي هذه الإشارة لمن كان له قلب وبصيرة ونورانية.

وقال ﷺ اعلم أن الصدق مع الله أصل كل خير، وقد قال بعض العارفين: من طلب صادقاً وصل إليه بأول خطوة، وقيل, أول قدم. والصدق هو سيف الحق قلده الله أرباب الحق، ما وُضِع على شيء إلَّا قطعه، ولا تطيق الموجودات مقابلته ولا قوته، أعني مفاجآت الحق للعبد بما يبدو له من الشهود. والوجود الذي يحصل من الله لعبده، هو تجل من تجليات، وهو نوع من تجلي الحق، والله الموفق للصواب.

وقال فيه أيضاً ﷺ بعد كلام ذكره

" والجاحد لمن يوحى إليه بشيء من هذا الكلام وما يفهمه، هو معذور ومُسلَّم له حاله من باب الضعف والتقصير والسلامة، وهو مؤمن إيمان الخائفين, ومن يفهم شيئا من ذلك فهو لقوة إيمانٍ معه واتساع دائرة, ومَشهدهُ مَشهدٌ واسعٌ سواء كان معه نور أو ظلمة، بحسب ما في القوالب من الودائع الموضوعة على أي صفة كانت، وهذا شيء معروف مفهوم ".

وقال ﷺ فيه

" واعلم أن الموعظة الحقيقة هي جذبُ الحقِّ لك ولُطف الحق بك, وأن يخلق الله في قلبك الخوف الشديد الملازم لقلبك وتستحضر عظمة الله

[1] الكهف 109

تعالى والخوف من الله تعالى والمحبة لله تعالى والشوق إلى الله تعالى، قال الله تعالى

﴿ فَفرُّوا الى الله ﴾[1]

والفرار على قسمين

القسم الأول. الفرار من الله إلى الله، وهو فرار الصديقين المقربين.

والقسم الثاني. فرار من خلق الله إلى الله، وهو فرار من الخلق إلى الحق، وهو فرار الطالبين الراغبين إلى الله تعالى.

والقسان المذكوران الأول والثاني كل واحد منهما على مراتب ومقامات لا تسعها هذه الأوراق، والتفرقة توجب ذكر الافتراقات، والجمع يوجب ذكر الجمعيات والخاصة والعامة، وكلاهما يختلف باختلاف الأحوال والأرواح فسبحان من أحصى كل شيء عددا ".

وقال ﷺ فيه أيضاً

" المشاهدات مبنية على الطاعات، والطاعات مبنية على المحبة, والسابقة والتوفيق المصحوب بعناية الله حساً و معنى وهو على حقيقة الحقيقة ".

وقال ﷺ فيه أيضاً

"هنيئا مريئا لمن أذاق أو ذاق أو رأى من ذاق، فقد قيل المطر قريبُ عهدٍ بربّهِ، فيُستحبُّ البروز فيه والتبرُّك عند نزول المطر، هكذا ذكره الشَّارع صلوات الله وسلامه عليه وهو مطر من السحاب، فكيف المؤمن العارف بالله ؟!

فمن الأحرى والأولى أن النظر إلى العارف بالله والصَّادق في الله والسَّائر لله في الله النظر والتأثير, وفيه سعادة الدنيا والآخرة عند مصادفة المحل

[1] الذاريات 50

والتوفيق، وفيه أيضاً شقاوة بالضد كما ذكرنا في الأول, نسأل الله تعالى المحبَّة في الله وأهل الله كافَّة بل عامَّة وخاصَّة حبُّهم وحبُّ مَن يُحبُّهم وحبُّ الله ورسوله وجميع أوليائه وعباده الصَّالحين مِن أهلِ السَّمواتِ والأرضين آمين ".

وقال ﷺ في خاتمته

" أيها الطالب عليك بالتَّوكل على الله والوقوف مع الله، كل ذلك كما ينبغي ذاتاً وصفات، قولاً وفعلاً، والحمدُ لله ربِّ العالمين ".

وكتابه هذا مشحون بأنواع المعارف والحقائق واللطائف والكلام في وجوه التوجُّهات وحقائق التراجُم والأعيان والجِّهات ومعاني الحروف الحسِّيَّة والمعنوية والتنبيه على لوازم العبودية في بدايات البدايات ونهايات النهايات كما أنشد في وصفه ﷺ وسميته صدراً

فيا ليتني صدرُ الصدورِ الصادرُ الصادر	مصـــدَّر فــي كــل مـــا تبتغـــي
فاحـــذر هُـــديت الحـــاذرَ الحـــاذر	وقائـــل قـــد قـــال مـــا قلتـــه
فقلت هلا قلت يا قـــــــــــــــادر	فاحرص على ما قلته إن كنت من ناظر

وممَّا أنشدني في رقعة كتبها إلى يوم أودعته في سنة سبعة وسبعين وثمانمائة فقال

عش خامل الذكر بين الناس وارض به	فـــذاك أســـلم للـــدنيا وللـــدين
من عاشر الناس لم تسلم ديانتـــــــه	ولم يزل بين تحريك وتسكيـــــــــن

وفي كتابه المسمى " بداية العقول ونهاية النقول في حكم المعقول والمنقول"

وعليك أيها العالم بالنظر فيما بينك وبين مولاك، وكما قال بعضهم نفع الله به

تعـــرَّض لنفحـــات الإلـــه وبابـــه	أدم قرعـــهُ فالبـــاب يوشِـــكُ يُفـــتح
وإياك إياك والرياسة إنها هي الداء	كـــلُّ الـــدَّاء للـــدِّين تجـــرح
تواضـــع وشـــمر والـــزم الزهـــد	ونفسـك جاهـدها عسـى هـي تفلـح
ألا إن حـــب المـــال والجـــاه ريبـــةٌ	قبـيح بأهـل العلـم ذلـك أقـبحُ
كمـا أن حـب الفقـر والزهـد صـفة	ملـيحٌ بهـم أزهـى وأبهـى وأملـحُ
ولـو طردونـي كنـت عبـدا لعبـدهم	كـبعض كـلاب فـي المزابـل تنـبح
ولا قط أهل الظلم تركن إليهـــــــم	مع القوم تحشر ثم في النار تطـــرحُ

وقال ﷺ ونحن عنده في سنة ستة وسبعين، قل ما دخلت عليه إلاَّ أنشدني

اتبع رياح القَضا	ودُر حيـثُ دارت
وسلِّم لسُلمـــــى	وسِر حيثُ سارت

قلتُ والذي أفهمه من سُلمى أنها الشريعة أو الطريقة، وهما متداخلان والله أعلم.

وقال ﷺ ينشد صاحبي كلَّما دخل عليه هذين البيتين

إنما الدنيا كبحر زاخر	فيه للوراد ورد وصدر
فدع الحيلة فيها جانباً	وتدحرج مع تيار القدر

ثم يقول يا مُحمَّد تدحرج مع تيار القدر ﷺ.

ومن شواهده في بعض كتبه وتمثُلاته وعزاه لبعض العارفين ﷺ

فآمنُ مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف
فلا جاهل إلا من الله آمن ولا عارف إلا من الله خائف

قلت, كتب به لبعض الفضلاء من طلبة بجاية جوابا عن كتابٍ كتبهُ لهُ به ما نصُّهُ هذه الأبيات فافهم ترشد

يـا أيهـا المربـوط إنـا نريـد حلَّـك وأنـت تريـد تـربط رجلـي حـذا رجلـك
يـا ذا الـذي أعطيـت للـوهم إرسـالك إن لم تعد مثلي فانح عني ودعني فانك
فليسرنا نرجـع فـي الأسر من شـأنك إن لـم تعـد مثلنـا مـا نعـد مثلـك
البسط يصلح لي والقبض يصلح لك يـا فقيـه أنـت مـع العقـل معقـول
مـا تنتقل أصـلا عن ظـاهر المنقول إلا أنا مطلق وأنت ما خطر لك قول
عذر الحسد واضح على جبين جهلك وأنـت معـذور فـي قولـك وفـي فعلـك
أيـا فقيـه إنـك تبقـى كـذا مربـوط بـوهم مع تقليد حظ النفوس مخلوط
فحل ذا الربـاط وابقي خليع مبسوط وافـتح كنـوز إرثـك مـن الـذي قبلـك
واحـذر مـن الإنكـار فإنـه المهلـك إن كـان تريد أنك تدخل لذي الحضرة
فـلا تخلـي فيـك مـن السِّـوى ذرَّة واخرج عن الدنيا واخرج عن الأخرى
وكن صغير يثبت في ذا المقام أصلك وإن كان ترى أنك شيخ اقعد فما خلـك

وهذه الأبيات منسوبة لسيدي أبي الحسن الشُّشتري ﷺ وعن سلفه.

وممَّا كتب لي به يوم ودَّعتهُ قبل هذا

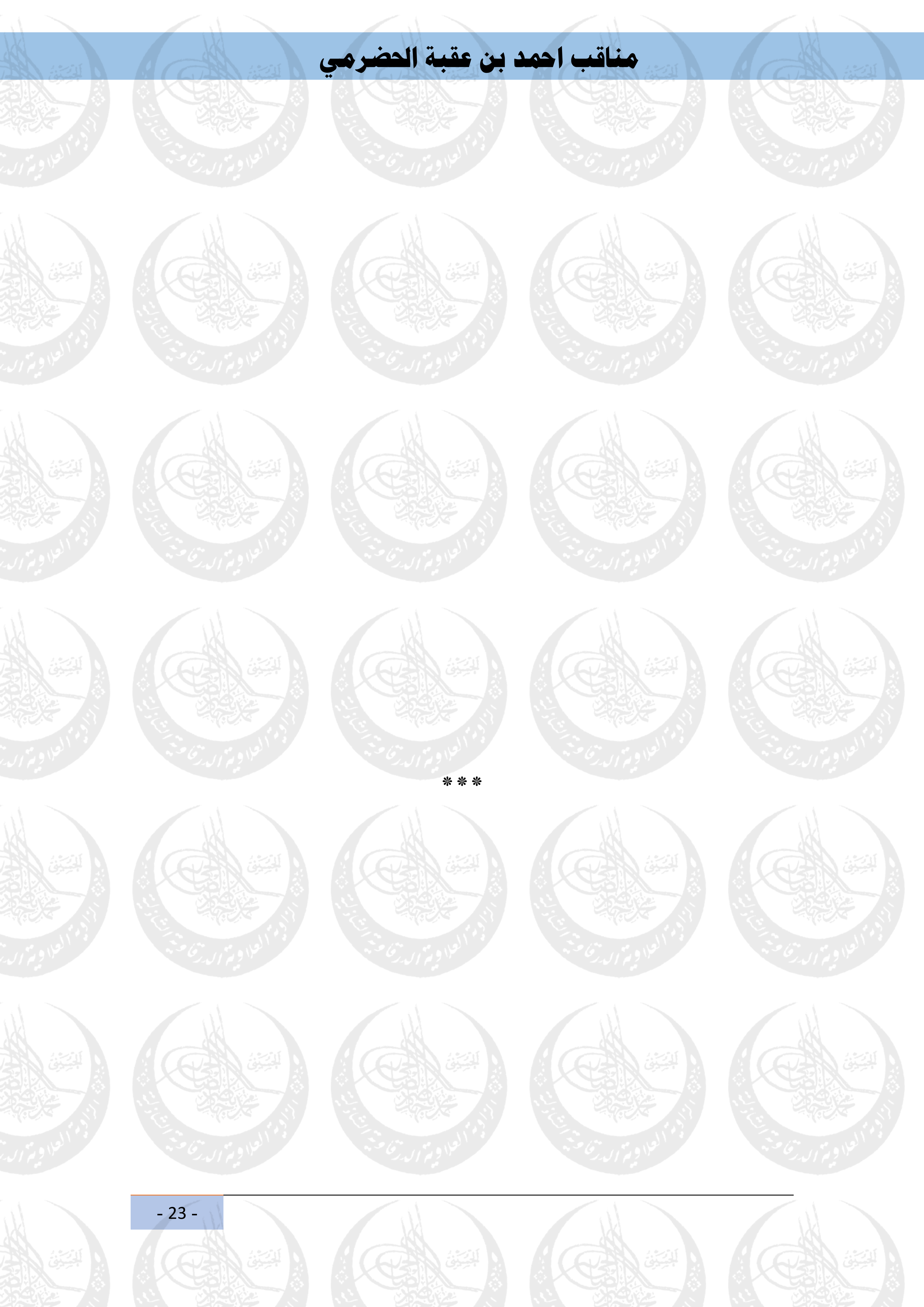
" وعليك بدوام الذكر وكثرة الصَّلاة على رسول الله ﷺ وهي سلَّم و معراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخاً مرشداً، فقد سمعت في سنة ستة وأربعين وثمانمائة بالحرم الشريف رجلاً مِن عباد الله الصَّالحين روى

لي ذلك عن بعض أهل الصِّدق مع الله تعالى، وكلاهما معروفان رأيتهما، والله أعلم.

فيا عطشي والما زلالٌ أخوضهُ ويا وحشتي والمؤنسون كثيرُ

نوَّر اللهُ قلبك يا أخي بنوره الذي نوَّر به قلوب عباده الصالحين ".
وفي آخر هذه الورقة:
أنظَمَ الله خرزاتِ هِمَمِكم في سلوك رضاهُ المخصوص يا أخي وجعلك من أهل عنايته.
طالبٌ ومطلوب قد أبلاهما الجديدان وأبليا الجديدين, حادث وقديم، كما قال بعضهم
" عين الحدث لا تنفتح لشعاع شهيد الأزل ".
﴿ هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾[1]
من كان وسمُهُ مِن محبرة الجمع فهو يكتب ما يكون وما لا يكون, طويل طويل طويل، عريض عريض عريض، شيء شيء شيء، ما شيء ما شيء ما شيء، عدم عدم عدم وجود وجود وجود "، والله أعلم.
قلت, وهو معنى ما في الحكم " من بورك له في عمره أدرك في يسير مِن الزَّمن مِن مِننِ الله تعالى ما لا يدخل تحت دائرة العبارة ولا تلحقه الإشارة .

[1] . الحديد 3



* * *

مُكاتبات مِن الشَّيخ إلى مُريديه

وممَّا كتب به لبعض الإخوان عند وداعه

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

حسبنا الله ونعم الوكيل، عليك يا أخي بالتوجه إلى الله تعالى في كل ساعة ولحظة ونفس من أنفاسك فإنه من أعظم الطاعات وأفضل القربات، ثم بعد ذلك عليك بتقوى الله واتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهاك الله عنه، وعليك بكثرة الذِّكر والتَّسبيح والتَّحميد وقراءة القرآن ما استطعت مع التَّفكُّر والتَّدبُّر صباحاً ومساءً، ولتكن أورادك وأوقاتك معمورة بالذِّكر والمواظبة على الصَّلوات المكتوبات وكثرة الاستغفار والتوبة وحبِّ الله وحبِّ رسول الله ﷺ وحب عباده الصالحين.

وعليك بالطَّهارة وإسباغ الوضوء في كل أوقات الصَّلوات والطَّاعات وغيرها والسِّواك، وعليك بالصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة ويومها، وعليك بالتسبيح قبل طلوع الشَّمس وقبلَ غُروبها، واحذر التواني والكسل في الطَّاعات.

وعليك بالصَّبر في جميع الأمور ما يتعلَّق بالدُّنيا والآخرة، وعليك بكثرة الاحتمال واحذر الغضب والطيش، اللَّهم إلَّا أن تغضب لله في حقٍ هو لله، واحذر من الشوائب، واستعن بالله في جميع الأحوال والأقوال، والزم الصمت والعزلة وكن مفتقراً إلى الله في جميع أحوالك جُملةً وتفصيلا، وافزع بالله في جميع الأحوال والأقوال.

وعليك بطريق السلامة واحذر من الرياء والسمعة وأن تفرح بنفسك في أعمالها وأقوالها، وعليك بالصَّبر والاحتمال وحسنُ الخلق لجميع الخلق

خاصةً وعامة، واحفظ لسبائك مِن قولٍ لغيرِ الله تعالى، وأجتهد في طلب الخير، وانظر وميّز بقلبك الأسباب المانعة للخير واحذرها.

واحتقر أفعالك وأعمالك الصالحة، واحذر العُجب والفرح بما يخالطك، وعليك بالصبر والاحتمال وحسن الظن في الله تعالى وإن تحقق منك القصد والتوجه إلى الله تعالى حقيقة ففيه كفاية ومعونة، واحذر نفسك وجاهدها، واستعن بالله عليها يُعنك الله تعالى، وعليك بسَهر اللَّيل والتَّعرُّض لنفحات الله وكثرة الاستغفار والسلام, ثم قال

وقائلةٍ لي مالي أراك مجانبـاً أموراً فيها للتجارة مَربحُ
فقلتُ لها مالي بربحكِ حاجةً فنحنُ أناسٌ بالسلامة نفرحُ

***

وممَّا كتبَ به للسَّيد الشَّريف أبي عمران موسى بن مُحمَّد الوغليسي ثم البجائي حين وفاته قافلاً مِن الحجِ في سنة اثنين وثمانين

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الله لطيفٌ بعباده، عليك يا أخي بالطلب والاجتهاد وبالمحافظة على الأوقات والصلوات المفروضات، وعليك بحضور القلب في كل قول وعمل وفعل، وعليك بلزوم النيَّة الصالحة في حركاتك وسكناتك، وأن لا تتحرَّك بحركة إلَّا ويكون فيها لله نصيب وتكون سالمة من الشوائب.

وعليك بحبِ الله وحبِّ رسولهِ ﷺ وحبِّ عبادهِ الصَّالحين، وعليك بمحبَّةِ المسلمين، وعليك بمحبَّةِ العوامِ مِن المُسلمين والشَّفقة والتَّواضع وخِدمةِ الإخوان وجميع المسلمين.

وعليك بالاحتقار لنفسك، واحذر وسواس النفس والشيطان في كل ساعة وكن متيقظا حذراً مِن الأفعال المذمومة المَمقوتة عند الله تعالى، وإياك ثم إياك أن تجعل لنفسك عندك قيمة أو مقدار، وعليك بالصبر والاحتيال لجميع المسلمين بَرِّهُم وفاجرهم وتعظيمهم ومحبتهم وخدمتهم خصوصاً أهل الصَّلاح الصَّادقين، واحذر أهل البدع وأهل الرياسات وأهل الاصطلاحات في المخالفات، واحذر صحبتهم وأشفق عليهم وعلى نفسك ولا تسئ الظن فيهم.

ألا استشعر حوقَ مكرِ الله تعالى فيك وفيهم، وأشفق عليهم وعلى نفسك، وإذا كرِهتَ أحداً لله فلا ترى لك عليه مزيَّة ولو كنت على طريقةٍ حسنة.

ألا كُن خائفَ الله على نفسك وأشفق واستعن بالله عليها في كل ساعة من الأوقات، وفي جميع أحوالك وأقوالك استعن بالله.

وعليك بالطَّاعة في جميع الأحوال، وعليك بحُسن النيَّة والاعتقاد في جميع المسلمين، وعليك بالتواضع.

وجميع ما أوصيناك به إنما هو على سبيل التَّذكرة، وإلَّا فالمقصود الله في كل شيء, وعليك بحُبِّ خواص المسلمين، واحذر مِن كسرِ خواطر الخلق خصوصاً الفُقراء والعوام وأهل المعصية.

ألا اشتغل بنفسك ففيها كفاية ونهاية، وعليك بالذِّكر والتَّسبيح الوارد في الآثار والأخبار الصحيحة، وعليك بالمحافظة فإنها وسيلة إلى الله تعالى إذا حافظت عليه والسلام.

ومن كتبه ورسائله التي وجه إلينا وإلى غيرنا من الإخوان وفيه ما يقرُّ النفوس ويقربها، كتابٌ وَصَلَنا بتونس المحروسة في سنة سبعة وسبعين وفي أوله

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

مِن عندِ العبدِ الفقيرِ الحقير اللائذ بالله من عذاب السَّعير، العائم بحر تياره الهدِر, عبدِ مَن هو لله عبدٌ صادقٌ فقيرٌ أحمد بن عبدالقادر بن عقبة الحضرمي اليمني.

السَّلامُ التَّام الخاص العام وأنعمة الإنعام إلى حضرة أخ في الله ومُحبٌّ في الله ومُتحرّكٌ وساكنٌ بالله في الله، مَن هو شاخصٌ إلى أهلِ الله, وراجي نفحةٌ مِن نفحاتِ الله، المُتعرّض لرَشقاتِ سِهامِ التَّوحيد في هيجاء معارك فُرسان التَّجريد والتَّفريد، البائع نفسه بضربة لازب من غير توجيب ولا تهديد، أماتَ الله حواسَّهُ وأذهب وسواسه، ونصره على خُنَّاسهِ، وسقاهُ مِن الحُبِّ كأسهُ حتى يعود مِن أكياسه، وعافاهُ مِن نزغاتِ البعد والطرد وآنسه بمؤانسات أهل عناية الأزل في الفريق الأول، بحق مُحمَّد وآله وصحبه وسلم، فلان الفلاني سلَّمهُ الله تعالى وَوفَّقهُ لكُلِّ خير وعَصمهُ مِن كُلِّ شر وختمَ لنا ولهُ بالخير بحقِّ مُحمَّد وآله وسلَّم.

وصلني كتابكم بصحبة الركب وغيره، وفهمت ما أعددتُّهُ مِن نفسك ومع مُحمَّد الخصاصي جعلكم الله من خواص عباده, ولم تذكروا ما يتعلَّق بنا وما ذا إلَّا لأن المقادير شغلتكم عن نفوسكم، والسَّلام عليكم من فلان وفلان، وذكر جماعة من الإخوان.

ثم قال, وكتبت الكتاب وإني في تفرقة وتشتيت، ولولا سوء تَذكُّر الأعذار وضرورات الاختيار والاضطرار في الأغيار ودواعي طوابع الأفئدة في الضمائر والأسرار المندرجة تحت أزمة زمام الأقدار، بسطنا بسطاً تُولَّع به نفوس أربابه أهل الكمون, فرجعنا إلى ما نحن فيه.

ثم قال وصيةٌ مباركة, عليك بتقوى الله بالكلية والجزئية، والسير إلى الله تعالى في كل ساعة ولحظة وخطرة، والوقوف مع الله بالله، والاستعانة بالله في كل شيء، واترك ما سوى الله مع وجود الله فهو قريب غاية القرب وبعيد غاية البعد, أسعدك الله بسعادته الأزلية والسَّلام.

يوم السبت سابع شوال سنة سبعة وسبعين بعد صلاة الصبح

***

كتاب آخر وصل مع هذا الأخ في الله تعالى مُحمَّد بن فارس الخصاصي نعمَّهُ الله برحمته وهو

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

من عند الفقير إلى الله أحمد بن عبد القادر بن . عقبة.

السَّلام التَّام والتَّحية والإكرام إلى حضرةِ عبد فقيرٍ مُفتقرٍ، وذليلٍ مُحتقر طالب وراغب الدخول والذهول في حضرة عزيز مقتدر، خفَّف الله عنه مؤنة السير إلى هذه الحضرة، وحرسه في كل خَطرة ونظرة، وجمعهُ في حضرة الجمع بحق مُحمَّد وآله وصحبه وسلم.

وصلني كتابكم مِن طرابلس الغرب وفهمت ما فيه، ثبَّتك الله بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، والسَّلام عليكم من فلان وفلان وذكر جماعة مِن الإخوان، سلاما بالنظر محفوف، وبالمحبة ملفوف، وكَتبتُ الكتاب عن عجلة كثيرة.

ثم قال وصية مباركة, عليك بتقوى الله في كل ساعة ولحظة ونَفَسٍ مِن أنفاسك ودوام المراقبة والذكر، وترك ما سوى الله مع الله، والطلب والسير

إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة، والشفقة للخلق مع مراقبة الخالق، كن مع الله, اطلب الله، افتقر إلى الله, تجد الله

﴿ مَنْ يَهدِ الله فَهوَ المُهتَدي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولئك هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾[1]

والسلام.

يوم السبت سابع شوال سنة سبعة وسبعين بالقاهرة.

***

كتاب آخر وُجِّه إلينا بعد هذين فوصلنا بمدينة فاس نَصُّهُ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم وبه أستعين

فقير إلى الله تعالى أحمد بن عبد القادر بن عقبة عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين.

السَّلام التَّام الخاص والعام وبالسَّلامة والاستسلام والمَحبَّة والإكرام والإنعام من العليم العلَّام.

حضرة أخي في الله ومحبٌّ لله وراغبٌ لباب الله فلان الفلاني سلَّمهُ الله وعافاه في الدارين وختم لنا وله بحُسن الخاتمة التامَّة عند الموت مع العافية لنا ولكم ولجميع الأصحاب والأحباب بمُحمدٍ وآله وصحبهِ وسلِّم.

وبعد، وصلني كتابكم وفهمت ما فيه، جزاكم الله عنا خيراً وجعل لكم فيه نصيباً, جاءت كتب عديدة وفيها ترجمات ما نستحقها.

ثم قال بعد كلام, وجميع ما ذكرتموه وأوردتموه وحصل لكم في ظاهركم وباطنكم في اليقظة والمنام هو بركة حُسن الظَّن في الأنام أو بعض الأنام, فهو نور مشرق وطارق مطرق، وبحر مغرق، وما هو في تيار مشفق،

[1]. الأعراف 178

وانشرحنا نحن وجميع الإخوان بموافقتكم واتفاقكم ومحبتكم، جعلها الله مصحوبة بالله في الحركة والسكون، سلَّمكُم الله مِن عوارضِ الأقدار سائرة إلى الله تعالى بسير السيَّار، طائرة بأجنحة التوفيق في فضاء القرب مع كل طيار، حفظكم الله ورعاكم وأمدكم بما مدَّ به أهل عنايته آمين.

وبعد عليكم بتقوى الله في كل ساعة وحين، وعليكم بالكتاب والسنة وطاعة الله في كل ساعة ووقت، وحب الله وحب رسوله عليه وحب عباد الله الصالحين.

وعليكم بمعالجة قلوبكم وتطهيرها مِن الدَّنس والخَبَث، فإن الدُّنيا سوق الآخرة والزمان, اغتنموا فرصته بالأعمال واذكروا الموت، وعليك بخوف الله ومراقبته وحُسن الظَّن بالله تعالى، وإياك أن تجعل لك عملاً أو تلحظ ثواباً أو أجرة ولو عَمِلت عَمل الأولين والآخرين, توجه إلى الله فقط واترك ما سوى الله قط، واحتمل الأذى من كافة العصاة أكثر من الطائعين، واستعن بالله تعالى في ذلك جميعه.

أعانكم الله تعالى كلُّكم والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته سلاماً مُشتملاً بجميع السَّلامة، محمول بروحٍ وريحان في رياض الفوز والكرامة، ونحن معكم وجميع أصحابنا وإخواننا وأحبابنا وجميع مَن يلوذ بنا في عالم المُلك والمَلكوت.

حقَّق الله لنا ولكم بحقِ مُحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم.

بتاريخ يوم الخميس خامس عشر شهر صفر سنة تسعة وسبعين وثمانمائة.

وفي هذا التاريخ وَردَ علينا كتاب آخر صغير لم نعرف حامله، وفي آخره: الله الله الله في الاشتغال بالله على أي وجه كان والسلام. انتهى

كتاب توجه مع هذا مشترك الخطاب بيني وبين الأخ في الله مُحمَّد الخصاصي رحمه الله تعالى، ونصُّهُ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وبه نستعين أحمد بن عبد القادر بن عقبة لطف الله به.

السلام التام والتحية والإكرام, إلى حضرة الأخ في الله الصالح المحب في الله تعالى والطالب لأهل الله تعالى مُحمَّد بن فارس بن عبد الحق الخصاصي سلَّمهُ الله تعالى وخصَّهُ بما خصَّ به أهل عنايته هو وأخيه فلان وجميع إخوانهم وأصحابهم ونحن وجميع المسلمين.

وبعد كلام ذكره فيه قال وبعد، عليك بتقوى الله وعليك بالكتاب والسنة قولاً وفعلاً واستعد للدَّار الآخرة، وعليك بحفظ جوارحك ظاهراً وباطناً، ودوام ذكر الله تعالى في كل ساعة وحين، وعليك بالصبر واحتمال الأذى وحُسن الخُلق وحُسن الظن بالمسلمين وحبُّ الله ورسولهُ ﷺ وحبُّ عبادهِ الصَّالحين وطهر باطنك من الأخلاق المذمومة في الخطرات واللَّحظات والإرادات، كن مع الله اطلب الله، والسلام.

آخر هذا الكتاب والله أعلم

***

كتاب آخر بلغنا في سنة أربعة وثمانين ببجاية أمَّنها الله تعالى نصُّ أوله

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

من عبد فقير حقير، وبالتقصير راجي رحمة ربه العزيز القدير أحمد بن عبد القادر بن مُحمَّد بن عقبة الحضرمي.

السَّلام التَّام الخاص العام تخصُّ بذلك حضرةِ الأخ في الله وراغب في جناب الله فلان الفلاني حرسهُ الله مِن دواعي الغرور وصانه في ذاته من هفوات الشرور، وكفاه شر صفاته في ذاته، ووفقه لكل خير وعَصمهُ مِن كل شرٍّ، بحق مُحمَّد وآله وصحبه وسلِّم وبعد

يعلم الأخ في الله المُقصِّر حقَّ التَّقصير الغافل عن إصلاح التدبير والتحرير, أنَّا كتبنا لكم كتاباً فيه أرباً وبسطنا فيها خوفا ورغباً لمن له ذوق وفهم, فمرَّت على أسماع نواظرك ومطالعتك في مشاهدتك فلم تلتفت إليها مقالاً ولا حالاً، وبلغني أنه حصل لك بعض تشويش من بعض النَّاس فإن يكن حقاً فالله الله", لومك على نفسك، فإنها أصل ما وصل إليك من الأذى إن تأملت، وأنصف واصبر على ما أصابك كما قال لقمان لابنه، والغمُّ من تطرق النفس، فلو نظرت ببصيرة العيان لنظرت كل ما يطرأ عليك في الوجود جميعه داخلاً وخارجاً، أصله ومبدؤه من نفسك، فالكلُّ فيك وإليك راجع، فلا تلم أحداً, احتمل الزمان إن قَصُر من ساعة ولحظة, فافهم فهم الأفعال لا فهم الأقوال تُصب سواء الطريق.

واعلم أنك أيها الأخ تُفرِّط في وقت لا يسع فيه تفريط المُفرِّطين, واغتنم رقدة الغافلين على بساط الاجتهاد، وإياك ونهضة الطالبين على بساط الكسل، وعليك بحفظ جوارحك الظاهرة والباطنة بما يقرب إلى الله تعالى، واحذر من نفسك قبل أن تحذر من الناس، فإذا كُفيت نفسك فقد كُفيت الكون كله، وتوجه إلى البقاء انسلاخاً عن الفناء، واجتهد في التأهب يا أخي.

إياك ودواعي الالتباس، ولعلَّ ذاتك مشغولة بشيء من الالتباس الذاتي وتراه نوراً وهو ظلمة، عُوفيت من كُلٍّ ظاهراً وباطنا.

عرَّفنا الله وإياكم مأمول حقيقة القصد إليه من غير شرك الاشتراك بفعل الجهل، والسَّلام عليكم سلامَ مَن قصُرت به حبال الدلاءِ بسبيلِ عَطَشهِ،

ومَن هامت به أشجان هواه، وسكر في بحر الغرام من حلاوة رشه، وقد توجَّه إليك وجوباً بعقوق، وحِدْتَّ عن طريقته وعن نيل ثمرته وحلاوة شراب وصيته، وقد فرَّطت تفريط مَن وَجبت عليه الوجوب، وقامت عليه حُجج المطلوب.

واشتغل بنفسك، وعليك بذكر الله في كل ساعة سواء كان قلباً أو قالباً وعليك بما أمكنك مِن الطَّاعات فهذا زمان الفتن والمحن، وعليك بالعُزلة ودوام الذكر، وإياك وملاحظة الغير ممَّا سوى الله تعالى ترشُد إن شاء الله تعالى, ولقد قصَّرت تقصيراً كان غيرك أحقَّ به، ولكن إذا قضى الله أمر كان مفعولا.

***

كتاب آخر وجَّههُ للأخ في الله تعالى الفقيه الحبر المُتصوِّف أبي عبد الله مُحمَّد بن قاسم البكي التونسي كان الله له في الدَّارين نصُّهُ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل

فقير إلى رحمة الله تعالى مُقصِّر في غاية التَّقصير راجي عفو ربِّه القدير، غريق في بحر الغفلة والتَّحيير بين أمواج الاختيار والتخيير, حتى يوصله مولاه برَّ وفِيَّ الاستبشار والتبشير ويَسلَم مِن عوارض الخطر الخطير، فلله الحمد على كل حال حمداً يرضي من ارتضى، أحمد بن عبد القادر بن مُحمَّد بن عقبة.

السَّلام ورحمة الله وبركاته خاص وعام في ذاته وصفاته تخصُّ حضرة الأخ الصَّالح النَّاسك الطَّالب الرَّاغب إلى الله تعالى في إصلاح المناسِك مُحمَّد البكي سلَّمهُ الله من عوارض الفتن، وعافاه مِن جميع المِحن، وأصلحَ ظاهرهُ وباطنهُ في السِّر والعَلن، وألبسهُ خِلعة اليُمن والحُسن ورزقهُ حلاوة الذَّوق وجعله مِن أهلِ الاشتياق إلى الله تعالى والشَّوق بحقِ مُحمَّد ﷺ.

فقد بلغني كتابك الأول والثاني ولم يمنعني غير شواغل التقريب والتقليب، ولقد تأملت كَتبك ولفظك، وفهمت من الأخ الطلب والرغب وشكواه من النَّصب والتَّعب، فالله تعالى يَشفيك ويُداويك مِن كل مرضٍ وعلَّة، ويُدخلك إليه ويَجمعك عليه ويرزقك ما رزق عباده الصالحين بلا محنة ولا مشقة، ونحن معك وجميع المسلمين, حققَّ الله لنا ولكم حقيقة العافية، ولولا الانبساط مع الإخوان والأصحاب ما كتبنا كتاباً ولا ردينا جواباً، ولكن حُسن ظنِّهم ونيَّتهم ورغبتهم في قصدهم في أي جهة كانت إذا اجتمعت في ذلك وما زاغت هو الذي أوجب لنا الاسترسال في ميدان الأقوال والأفعال، وليس لمثلنا أن ينصح مثلكم أو دونكم، فإن لسان حالنا مفتقر إلى النصيحة

ويا ليت شعري من لي بناصح ينصحني

أو طبيب يداويني من كل مرضي وعلتي

رجعنا إلى ما نحن فيه بصدده في السؤال، فعليك أيها الأخ بتقوى الله في كل حال ودوام ذكر الله تعالى في كل ساعة ولحظة ونفس وقد قيل في المعنى

ولازم دواماً قرع باب مؤمل   فما خيَّب المولى بقرعِ مُؤمَلِ

عليك بحبِّ الله وحبِ رسول الله ﷺ وحبِّ عبادِ الله الصَّالحين وحُسن الظَّن في جميع المسلمين، فاحذر دعاوى نفسك واستعن بالله عليها في جميع

أحوالك, واحترز من جميع الهفوات، وفر إلى الله تعالى إن قدرت في كل حال، ثبتك الله بالقول الثابت في جميع أقوالك وأفعالك، وعليك بالعزلة والانفراد بالقلب والقالب، ولا تجعل لنفسك حظاً أو مزية، واجعل نفسك كتراب التراب تسترخ مع الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى إخوانكم وجميع من جمعكم بجمعه مجموع بسلام مَن توجَّه بوجوه التَّحقيق إلى حضرته، وأيَّدهُ بروح وريحان مِن مُشاهدته، وكثرة الكلام تفضح المُتكلِّم مثلنا, وادع لنا بحُسن الخاتمة الجامعة لجميع العوافي التَّامة مِن غير مَشقَّة.

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد النَّبي الأمِّي وعلى آله وصحبهِ وسلَّم.

***

كتاب للشيخين الفقيهين الإمامين الصدرين العالي أبي الربيع سليمان الحناري وأبي مهدي عيسى بن أحمد مفتي بجاية وصدور الإسلام في وقتهما علما وديانة ونصُّهُ

فقير إلى الله تعالى أحمد بن عبد القادر بن عقبة.

السَّلام ورحمة الله وبركاته نخص به الأخوين الصالحين العالمين الراغبين إلى جناب رب العالمين فلان وفلان سلَّمهما الله تعالى وحرسهما من كل شر ووفقهما لكل خير وعصمهما من كل سوء ورزقهما ذوق الذائقين وشوق الشائقين وألحقنا وإياهم بعباده الصالحين بحق مُحمَّد ﷺ.

وصلت إلينا كتبكم من حيث الأفعال لا من حيث الأقوال جميعها، فحلت حلول المنازل في منازلها، وقامت قيام من وصل أصلها بوصلها وقنعت بمقاصدها نهوض مقصودها، وتسببت بأسباب طلبها بمطلوبها وأرخت أرسان فهمها لتنال موهوبها، فلا خيَّب الله طلبها ونَيل أربها, هذا ورياح

الخواطر تلعب بها في تيار الزواخر، ولا كل ما يعلم يقال ولا كل قول يصلح أن يقال, ولكن أصل الأصول قول الرسول

" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "[1]

هذه الكلمة النَّبوية المحمدية جمعت حقائق الأولين والآخرين وبها صلاح الدَّارين، حقَّقَ الله لنا ولكم المطلوب وأوصلكم مرادكم المرغوب, مع العافية والسلامة المصحوبة بروح وريحان وجنة نعيم, حفظكم الله ورعاكم ورعيتم من كل هفوة ونقص يمازج معنى أرواحكم الروحانية ويطوف على أجسامكم البشرية، ونزَّه الله أسراركم عن الطوارق وأوردكم الموارد القُربية، وعليكم بحفظ قلوبكم ولزوم طهارة قوالبكم، وحفظ حواسكم ظاهرة وباطنة، والتوجه إلى الله تعالى في كل لحظة وساعة، وعليكم بالصبر والاحتمال في كل شيء، وإياكم وعوائد النفوس المعتادة في النفوس وعليكم بالانسلاخ منها, جمعكم الله ولا شتَّتكُم عليه وإليه.

ثم قال, ولا تروا علينا في سقطات ألفاظنا في كتبنا وكثرة هذرنا، وإياكم أن تجعلوا لنفوسكم قيمة ومقداراً ولو كانت ما كانت، وجاهدوا نفوسكم أكثر من جهادكم الغير، ومن كفى الله شرَّ نفسهِ كفاه الله شرَّ الوجود جميعهِ، وعليكم بطاعة الله تعالى في كل ساعة ولحظة قولاً وفعلاً، فإن الفتن في هذا الزمان كثير، فالعزلة للفقير الطالب أولى والسلام.

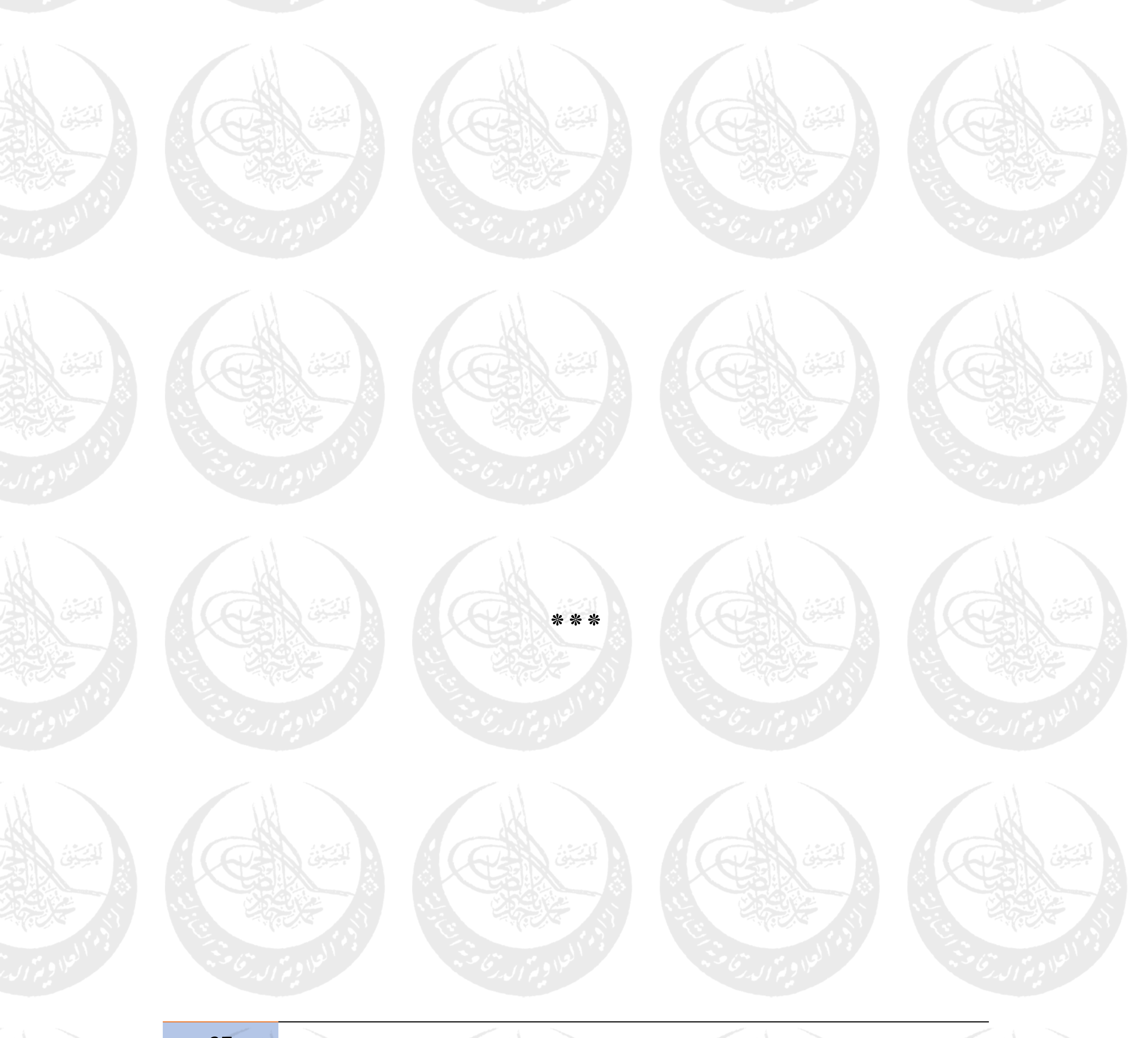
ولست أريد كمالكما بذلك فإنكما عالمين بين أظهر المسلمين وإنما فيكما مصالح الناس فعليكم بالتَّقوى وبما يليق بمحافظة الناس وأهل الزمان، والله تعالى يهديكم إلى صراط مستقيم، وليس لمثلنا أن يأمركم بهذا الكلام وأن يقوله لغيركم، وإنما هو وضع وضعناه على اصطلاح الإخوان والأصحاب في الله تعالى.

[1] . أخرجه البخاري

ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ورزقنا وإياكم حُسن الخواتم وأصفاها في أفضل الأحوال وأكملها وأزكاها.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع الإخوان مثلكم والله يجمع شملكم ويحفظكم بلطفه.

وهذا آخر ما تيسر لي في الوقت من رسائله وكتبه مستوفىً وبالله التوفيق.



***

إشارات وفوائد جرت في رسائله وغيرها

فمن ذلك أنه قال في آخر كتاب كتب لنا به

الله الله في الانتباه من كل غفلة داعية في كل قلب و قالب وحسٍّ ومعنى ممَّا يتعلق بالاثنين, وقال في المعنى

يا حبيب لو كنت صادق...[1] وفقكم الله لذلك أنت حاكم على عوالم التمييز المودوعة في قالب الحكمة وقارب وسدِّد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

كتاب آخر

بُعث لي خوختين واحدة حمراء وأخرى عنق حمام و بغلتين إحديهما شهباً والأخرى سوداً، وحلَّة مكتوبة بالقرآن وأخرى بالعلم، وفي ذلك إشارة لطيفة وتنبيةٌ عجيبٌ لمن يستعين بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلجة ويصوم ويزكِّي مع أتباع الكتاب والسُنَّة ودوام التلاوة ولزوم العلم، وبالله التوفيق.

ومنه في آخر كتاب اعتذر فيه عن عَتَبٍ عَتَبَ عليَّ في أمر ظنَّ أني قصَّرتُ فيه, فقال في المعنى هذه الأبيات فافهم ترشد، وبالله التوفيق.

العبد أساء وقد أتى معتــذراً   والذنب جرى ولا عِلمَ كيف جَرى

وإن كنتُ أسأتُ فضلكُم يحملني   والماضي لا يعاد بين الفُقرا

وهذا الكلام لسيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى. ثم قال بعده هذين

[1] . بياض في الأصل

البيتين في المعنى فافهم.

حبيبي دنا قوموا لإجلال عزَّتـــه   تحرَّكت الأكوان واهتزَّت السما

وأنتم جلوس أين ضاعت عقولكم   تعالوا فقوموا كلنا ندخل الحما

***

كتاب آخر كتبه للشريف موسى الوغليسي كان الله له

احذر من هفوات الشهوات، اجتهد في طاعة الله مولاك، واحذر من نفسك، وكن لله وبالله، وأعرض عن كل ما يبعدك من الله تعالى، وخُتم كتاب مُحمَّد بن عمر بن الجزائري لطف الله به بهذا البيت فافهم.

قالوا جننت بمن تهوى فقلتُ لهم   ما لذة العيش إلَّا للمجانين

***

وفي كتاب آخر وجهه لبعض الإخوان

وبعد، عليك بحفظ الأنفاس والسرائر والأوقات مع الله تعالى في كل نَفَس وداوم ذكره و مراقبته من حيث الأفعال المُنهية إلى حضرة الحقِّ، وعليك بالشَّفقة لجميع المسلمين، واشخص ببصرك إلى العُقبى وتفرَّغ للتهيؤ إلى لقاء الله، فإن العمر والدنيا أقل من ذلك، واحذر ملاحظة التواني والرغبة في النوم, الله الله يا أخي في الرجوع إلى الله والتقرب إلى الله بها أمكن والصبر والمراقبة والاشتغال بالله والعزلة، والسلام.

وأنشد له في غيره قائلاً

على مثل البِلى يَقتلُ المرءُ نفسه   ويحلو له مُرُّ المنى ويُعذب

وأشار لبعض الفقهاء بهذا البيت فافهم

فلا هو مقتولٌ فللموتِ راحةٌ   ولا هو ممنونٌ عليه فيُعتقُ

فائدة

وجدت بخطِّهِ ﷺ ما نصُّهُ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ إنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى العَرْشِ * الى قوله المُحْسِنينَ ﴾[1]

ثلاث مرَّات لكل خوف, ولها منافع عظيمة وهي آية الاحتراس إذا كنت خائفاً.

وإن أردتَّ الدُّعاء فعليك بآخر الحشر، وإن أردت الاحتراس مِن كل آفة فاقرأ

﴿ إنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى العَرْشِ يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثيثاً والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسخَّراتٍ بأمرهِ ألَا لَهُ الخَلقُ والأَمْرُ تَبَرَكَ اللهُ رَبُّ العَلَمِينَ ﴾[2]

ثم قال

﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهْوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ﴾[3]

تُقرأ خمسةٌ وأربعين مرَّة وذلك لجميع المقاصد ولها سرٌّ عظيم.

ثم قال

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ ألم* الله لا إله إلَّا هو الحيُّ القيُّوم ﴾[4]

1. الأعراف 54– 56
2. الأعراف 54
3. الحديد 3
4. آل عمران 1–2

﴿ وَعَنَتِ الوجوهُ للحَيِّ ﴾[1] جوامع الاسم الأعظم, وفَّقكم الله لذلك وجعل لكم فيه حظاً وافراً جامعاً لجميع المُراد في الدنيا والآخرة ونحن معكم وجميع المسلمين.

فائدة أخرى

أخبرني الأخ في الله تعالى مُحمَّد بن فارس الخصاصي رحمه الله تعالى أنه قال له

إذا كانت لك حاجة إلى الله فصلِّ ركعتين ثم اقرأ قوله تعالى

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ ألرُّءيا بالحَقِّ ﴾[2]

إلى آخر السورة مِائة مرَّة فإنها تُقضى أو كما قال.

فائدة ثالثة

أخبرني رحمة الله تعالى عليه أنه قال له

أعلِّمك ورداً يكفي عن كل ورد

" حسبي الله لا إله إلَّا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرشِ العَظيم " عشر مرَّات بعد صلاة الصبح وعشراً بعد صلاة المغرب.

قلت, وقد ورد ذلك في بعض روايات الحديث وإن كان المعروف إنما هو السبعة وبالله التوفيق.

فائدة

قال, وقال لي في قراءة

﴿ إذا زُلْزِلَتِ ﴾ على الطعام لها بركة عظيمة، وكان يستعمل

---

[1] . طه . 111

[2] . الفتح 27

﴿ والسَّماءِ والطَّارِقِ ﴾[1]

لوجع البطن فيبرأ صاحبها للوقت.

وقال, عَلَّمنيها الشَّيخ وأخبرني أنه لقَّنهُ ذكراً عاين به جيوش كثيرة وعوالم فأخبره بذلك, فقال له لا تذكرهُ بعد، فلم يقدر على النطق به بعد.

واعلم أن تأثير الخواص موقوف على ثلاثة أمور, جمع الهمَّة، وقوى النَّفس، والخاصية المودعة فيها، فإذا تخرَّم واحد تأخر التأثير إلى ظهوره واستيفائه، فلذلك تؤثر مع بعض الناس دون بعض، وفي وقت دون وقت، إذ لكل شيء خاصية في ذاته فافهم.

وفاة الأستاذ الحضرمي

ثم توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه ليلة الجمعة سابع عشرين شوال سنة خمسة وتسعين وثمانمائة ودفن بتربة البرقوقية من ظاهر القاهرة المعزية, عفا الله تعالى عنه ونفعنا بعلومه والمسلمين ببركته آمين.

وصلَّى الله على سيدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين.

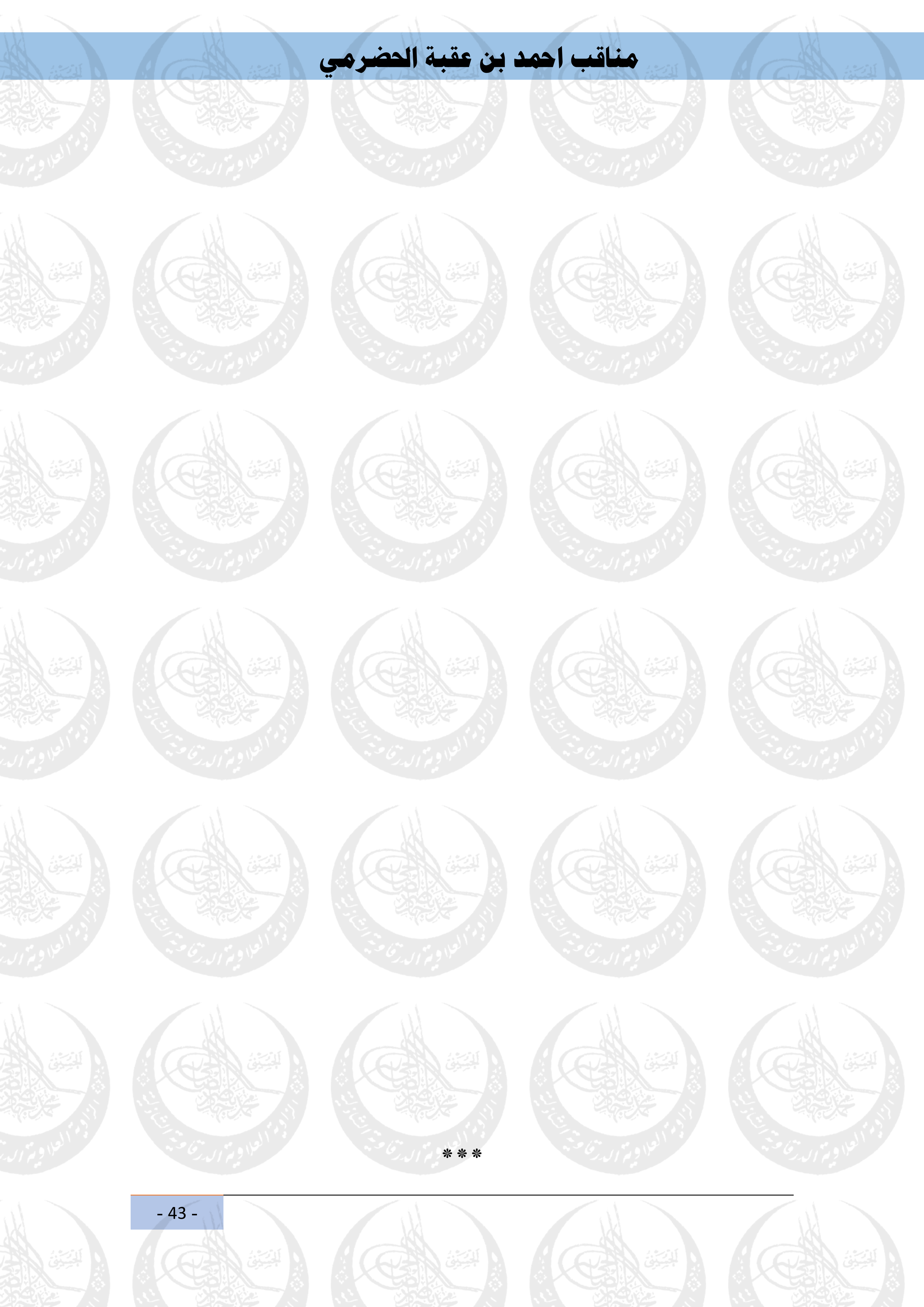
ووافق الفراغ من تعليقه على يد أفقر العباد وأحقرِهم العبد الأصغر علي المزين ابن الشيخ موسى الخلفاوي عفا الله عنه بمنِّهِ وكرمهِ آمين.

وذلك في يوم الثلاثاء المبارك سادس عشر محرم الحرام سنة" 1134"ه

وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلَّى الله على مَن لا نبيَّ بعده

آمين

[1] . الطارق 1



* * *

مكاتبة الشَّيخ سيِّدنا أحمد زروق لشيخهِ سيِّدنا أحمد بن عقبة الحضرمي ﷺ وجدتُّها في تقييدٍ نصُّها

الحمد لله من محَل المسكنةِ والاضطرار ومقام الذِّلة والانكسار إلى مقام الروح وشفاء القلب المجروح، سلامٌ دائمٌ عطِرٌ تتجدد نفحاتُهُ على مرِ الأيام وتنعطف علينا بالمبرات والإكرام من فؤادٍ يتوهجُ وعبراتٌ تترجرج.

فريدٌ على الإخوانِ في كل بلدةٍ　　إذا عَظم المطلوبُ قل المسَاعِد
غريـــبٌ حتـــى مـــن نفســـه　　فريـــدٌ عـــن أبنـــاء جنســـه

قد رام الحق في زمان الباطل فأصبح جيده من التحصيل عاطل، لولا ما يرجوه من نفحات الرجال ولمحات السادات الأبطال الذين لا يحتاج معهم إلى تعريف الحال ولا إلى تنبيهٍ على كرام الخلال وكيف يُعرف من الحال لديه مشهود أو يُنبه من طبعه الكرم والجود لكن لحركات النفوس راحات ولعالم الجسم بمثلِ هذه الأمور استراحات كما قيل.

ولمَّـــا أن نـــأت مـــنكم دِيـــارٌ　　وحـــال البعـــدُ بيـــنكم وبينـــي
كتبـتُ لكـم سواداً فـي بيـاضٍ　　لِأنظُـركم بشـيءٍ مِثـل عينـي

ويا أيها السيّد الذي حبُهُ في القلب مبثوث ووُدُّه في كلِ شيءٍ من العبد ملثوث لم يبقَ للعبدِ تشوُّقاً إلَّا إليكم ولا له في الوجود اعتمادُ إلَّا عليكم.

فـلا تقتلـوني بالصـدود وبالجفـا　　أنـــا عبـــدُكم وعلـــيكم محســـوب
مُنُّوا وحُنُّوا لصبِي وارحموا وارفقوا　　لا خيـب الله مِـن إحسـانكُم أملـي

إن كنتُ أذنبتُ فالإحسان شيمتُكم وعـادة العُـرب أن تعفـوا عـن الزلـل
ما في الورى عِوَض منكم ولا بدلٌ لا عاش لا عاش من يصبوا إلى البدل

وقد علم الله ثم أنتم حقيقة الحال أني أُحبُ رائحة الرائحة وأُقبِّلُ شراك النعال وأقنع في نفسي بعطفةٍ من طرف الخيال دون انتقال.

لا تحسبوني في الهوى مُتَصنعاً كَلَفـي بكـم خُلُـقٌ بغيـرِ تَكلُّـفِ

ثُمَّ أقِرُ وأعترف بالمنَّة لجهتكُم الكريمة وأرجوا من الله بمحضِ فضله حسنةً عظيمةً وما هو إلَّا الجزم على فضل الله وكرمه كما قيل.

وإنـي لأرجـوا الله حتـى كـأنني أرى بجميـل الظـن مـا الله صـانعُ

وأعلم أنَّ السيِّد إذا فتح كَمَّل، وإذا منح وصَّل، وإذا أراد أغنى، وإذا توجه هَنَّا فكان لكل مَن تعلق به نصيب ممَّا لديه وظهرت الخيرات من كرامته على يديه فأحبُ لأصحابي مثل مالي.

***

الحمد لله هذه وصيةٌ تُنسبُ لسّيدي أحمد زروق أيضاً ﷺ.

قال رحمه الله عليكم بتقوى الله الذي لا إله إلّا هو واتباع الكتاب والسُنَّةِ من غير زيادة ولا نقصان وطاعةِ الشَّيخ في كلِ أمرٍ بانَ رُشده أو انْبَهمَ راجعين لِرأيه واقفين مع مُراده خارجين عن مُرادِ أنفُسِكم مُتوكلين على ربكم فهو الذي لا يشفعُ عنده أحدٌ إلّا بإذنه ولا نَفْعَ لأحدٍ ولا ضُر إلّا بإذنه، وعليكم من الأدب أن تكونوا بين يديه كالميّتِ بين يّدِي الغَسَّال أو كالبهيمة المملوكة تحملُ ما حملتْ ولا تُبالي إذا أُهملت، ومَن طلب من شيخٍ أن يقبِلَ عليه بحيث يتغير عليه إذا لم يَرَ منه لُطفاً فَقلَّ أن يفلح وإنَّما المُفلحُ مَن يلجأ إلى مولاه ويتوسل إليه بأوليائهِ على كلِ حال.

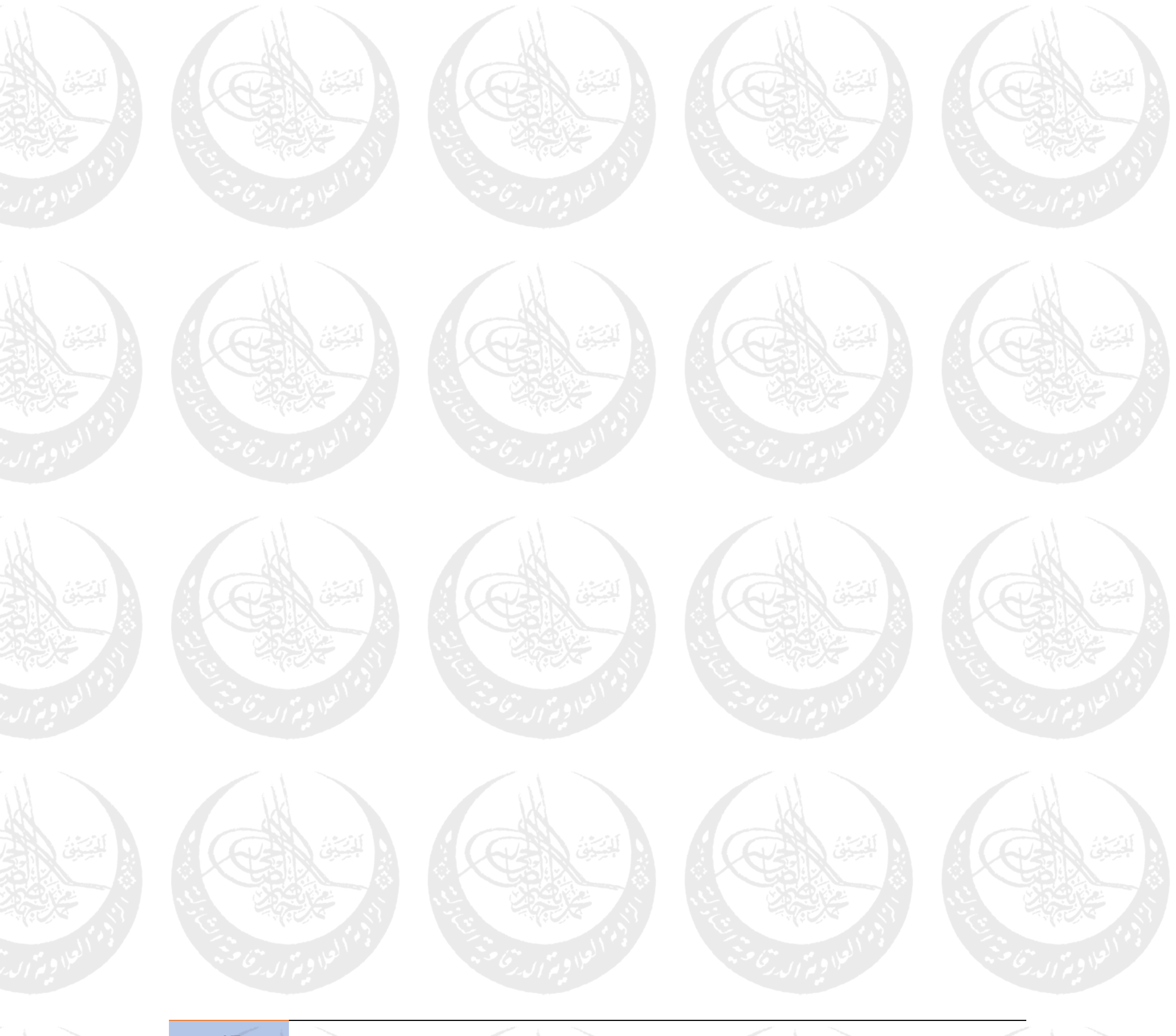
وإذا وقعتم معه في تقصير فبادروا بالاستغفار وإياكم والاعتذار مع الشَّيخ مكابرة، ومتى وقعت لكم رُؤيا فقُصُّوها ولا تطلبوا تعبيرها فقد لا يصلح بكم تأويلها وقد يُضِرُ بالشَّيخ ذِكره فيمكُر بكم ولا تطلبوا بيان مقاصِدهِ فإنَّ ذلك تحكُّمٌ عليه، ولا تُشاوروه في أمورِكم بل أُذكروا المُهمَّات عرضاً عليه وانظروا لِما يصدُر منه فإن لم يصدُر منه شيءٌ فلا تطلبوا رأيه، وإذا أمركم فلا تتأوَّلوا عليه أمره بل قوموا بظاهر الأمر مُستسلمين لحُكمه مُتعمدين على رأيه فالخير في خطأ الشَّيخ لا في إضافة التلميذ في مُقابلته، واحترموا مكانه وزوجه وأصدقاءه، فإذا غاب لا تجلِسوا في مكانه وتعاهدوه بالزيارة والتسليم ولا تتزوجوا زوجه ولا أمته ولا تُعادوا له.

ولأحبابي نسبةٌ من حالي * لأن الكُل على بابكم مطروح * وبذكركم قلبه وقالبه مشروح * ثُمَّ يصِلكم إن شاء الله إحرام عرى عن حِرمان الكُلَف * مخصوصاً بالكرامات والشرف من إخوانٍ لهم صدق وهمة * ومحبةٌ وعَزْمة

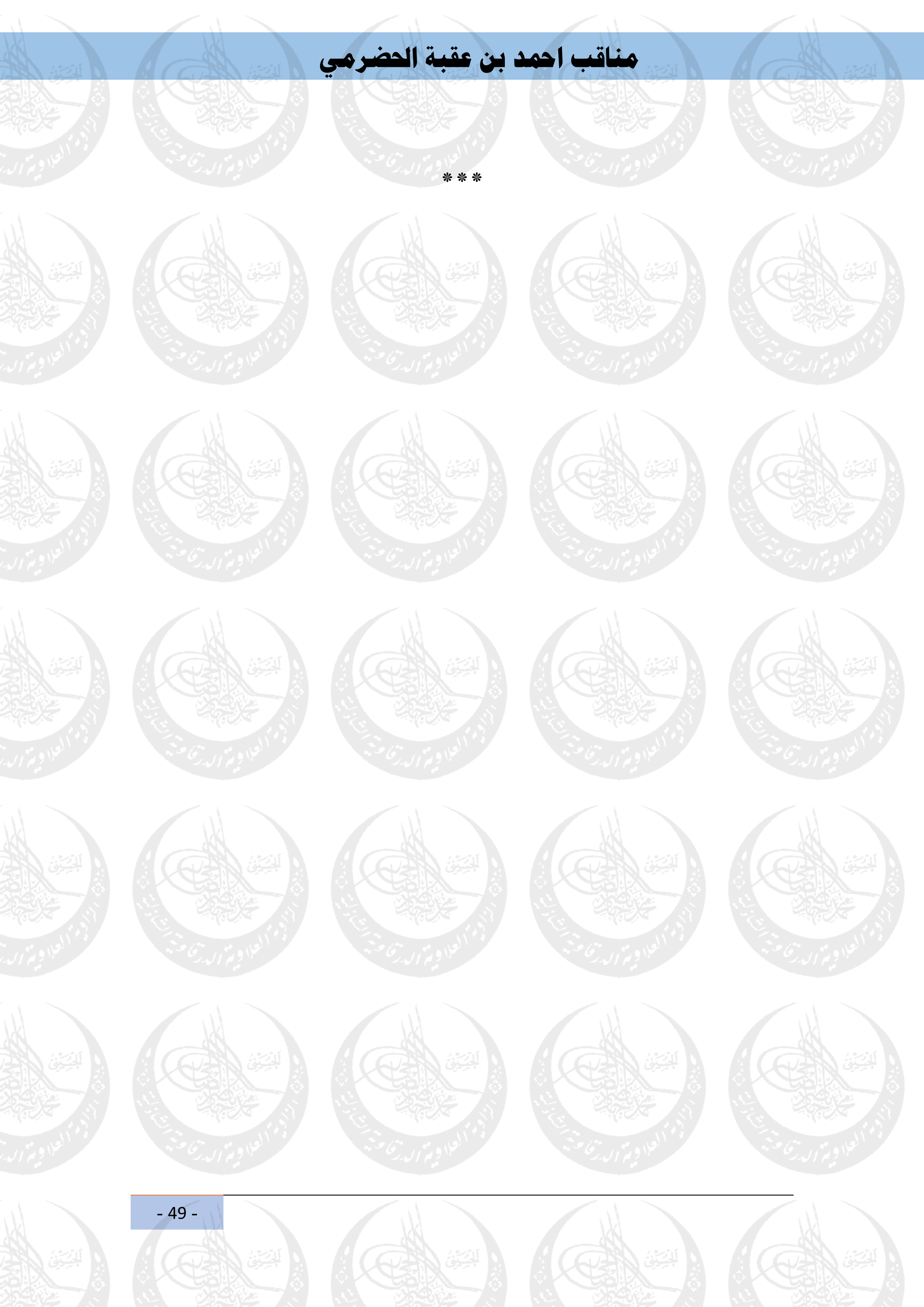
* قد صنع بكُل جارحةٍ * ووفق فيه بكلِ ساكنةٍ وراحلة * والمرجوُّ منكم القبُول وهو الظنُّ بكم.

هديـــةُ العبـــد علـــى قـــدره	فالفضــــلُ أن يقبلهــــا السِّـــيدُ
ألــم تــرَ العــينَ علــى جودِهــا	وتقبــل إذا يُلقــى لهــا الإثمــدُ
وفي عامِ خمسٍ بعد خمسين عِدةٌ	مِن الشهر شهرِ الله قُل رَجَب الفـرد

انتهى على ما فيه من التصحيف والتحريف.



الفهرس



***